

173- "لعبة النذل" (3) "مع الأسوياء: الجزء الثاني"

المقدمة

تأكدت الآن أن المخاوف التي ثارت عندي وأنا أقدم هذه الحلقة في قناة النييل الثقافية لها ما يبررها، وهي هي التي حضرتني وأنا أقدمها كتابة الآن، وقد تجلت أكثر من خلال تلك الرسالة التي وصلتني من قارئة جادة ناقدة حذرة أشرت إليها في حلقة أمس، وقد أردت أن أوضح اليوم أكثر طبيعة هذه الألعاب باعتبارها تمارس من خلال "أفراد" أسوياء، لا يمثلون - طبعاً - إلا أنفسهم، لكنهم عينة هامة من الناس، قد تساعدنا أن نتعرف على جانب من النفس البشرية من خلال بضع وحدات من بني الإنسان.

إن الفرد هو الوحدة التي يتكون منها المجتمع، ويتطور من خلالها النوع، وكل ما يجري خارجه في الجماعة أو المجتمع يصب في النهاية فيه، وفي نفس الوقت: لا يوجد حل اسمه "الحل الفردي".

الأنبياء - عليهم السلام- حين نزل عليهم الوحي بدأ بهم، وهم لم يكونوا أنبياء إلا لأنهم لم يتوقفوا عند الحل الفردي،

بعض الصوفية خدعهم الحل الفردي وسيحاسبهم الله بعدله ورحمته معاً،

في نفس الوقت لا يجوز أن نهرب في الجماعة من مسؤوليتنا أفراداً، لا جماعتنا التي نختمي بها، ولا جماعة المغيرين علينا الذين نضع عليهم كل اللوم أحياناً.

على كل واحد أن يقوم بما يستطيع في المجال الذي يقدر عليه ليصب العائد في خير الناس ودفع التطور

هذه الألعاب تحرك وعى الأفراد فالأفراد، ثم ليتحمل كل واحد ما يصله وما تحرك منه في جماعته حتى يمتد ما يصله إلى كل البشر، ثم هو يلقي الحق تعالى "فرداً" في نهاية النهاية.

لا تعميم،

لا الحل الفردي ينطبق على الجماعة ولا جهد الجماعة يغني عن مسؤولية الفرد، كل في فلك يسبحون، لكنهم يلتقون حتماً، حتى بدون قصد.

أو: ينقرضون معاً

والآن نبدأ اللعب

اللعبة السادسة: أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن....

أ. محمد: يا أستاذ عماد أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن أكمل فيه على طول

أ. عماد: يادكتور تامر، أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن أفضل ذال نفسى على طول

د. تامر: يا دكتور يحيى، أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن أجرب

د. يحيى: يا دكتور باهر، أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن أتمادى وأنا مش عارف

د. باهر: عزيزى المشاهد، أنا لو ضمنت إن مافقى نفسى وأنا باتنازل لدرجة الذل يمكن يدقى مفيش مشكلة

المناقشة

تكمل الاستجابات في هذه اللعبة ما جاء من مواجهة مؤلمة في اللعب السابقة، يبدو أن المسألة وصلت إلى درجة مزعجة نتيجة هذه المحاولة المتسحية التي تم بها: إحياء البصيرة خلال خمسة ألعاب قام بها بضعة أشخاص لمدة نصف ساعة!

لعلنا نتحمل مسئوليتنا ونمضى.

بدأ د. باهر بالتعليق بعد اللعبة: "احنا مش خايفين من الناس، .. يعنى الخوف: من الذل مهواش خوف من رؤية الناس له، دى حاجة بين الواحد ونفسه، فيوافق محمد "دا نفس اللى وصلنى بالضبط، إن لو انا ما شوفتش نفسى ممكن أكمل، لكن المشكلة انى اتفقت، فأنا مصدوم، فتبقى الدنيا صعبة.

أيضاً حكى في المناقشة بعد اللعبة كل من: أ. عماد، ود. تامر عن حيرة وصعوبة ما وصله نتيجة التعرية، فأضاف عماد أنه ربما - بذلك - يتصاح مع نفسه، ليتخذ موقفاً مع ما لا يريد لنفسه، لم يحدده، لكنه انتبه "مش عارف زى ما أكون باتصاح ولا إيه" "مش عارف، أنا فعلاً مش عارف" فيعترض د. يحيى ويستوضح فيشرح أ. عماد "أقصد يعنى اللى تحت بقى أسهل"

فيعقب د. يحيى

"...أسهل بس أخطر، يعنى انت بتتصاح بالعمى؟!، محمد ابتدى بالعمى، وبيفتح واحدة واحدة، يعنى هي من كتر ما هي بتوجع احنا جاهزين للتنازل، خلى بالك احنا بنقول ما فقى نفسى وأنا باتنازل مش وأنا باتذل دى تفرق، يعنى الخوف هو من رؤية التنازل، كل واحد يقول "ما هو خلاص، ما هو مش شايف ما هو ساعتها مش حايبقى ذل" دى تبقى مصيبة سودا.

أما د. تامر، فنحن لم نعرف ماذا يقصد بالتجريب "يمكن أجرب"، لا هو شرح ما يعنى أثناء المناقشة، ولا أحد سألته، ربما يقصد: أن يجرب أن يتنازل ليرى النتيجة ثم يقرر!

نلاحظ هنا قدرة اللعبة على ضبط "حركات اللاشعور" في المشاركة في التنازل، وبالتالي فإن الحل ليس هو التبرير أو المبالغة في المثالية، وإنما المواجهة وتحمل مسؤولية ما يصدر حتى مما يسمى اللاشعور، لأنه في النهاية ليس سوى "أنا!!!"

اللعبة السابعة: ذل بذل أنا بقى

د . باهر: بقول حضرتك ، ذل بذل أنا بقى حانقى الذل

.....

د . يحيى: طيب يا عماد ، ذل بذل أنا بقى لازم آخذ حقى

أ . عماد: يا تامر ، ذل بذل أنا بقى لازم أعيش زى ما أنا عايز

د . تامر: يا أستاذ محمد ، ذل بذل أنا بقى لازم أفرض شروطى

أ . محمد: أعزائى المشاهدين ذل بذل أنا بقى أنا حاكسب على طول

المناقشة

بدأت هذه اللعبة دفعا إلى ما بعد الوعى بواقعية الذل واحتمال مشاركتنا في قبوله، دون تغطية ولا تورية، ويبدو أنها حفزت التحدى والتحفز، فها هو د. باهر ينتقى نوع الذل حانقى الذل، وعماد يأخذ المقابل "أعيش زى ما أنا عايز" وعمد يكسب على طول "أنا حاكسب على طول" وتامر يفرض شروطه "لازم افرض شروطى". ود. يحيى يأخذ حقه "لازم آخذ حقى"، يبدو هذا الموقف تعرية أصعب، كما يبدو أن هذه اللعبة سرقت المشاركين فهي بعد أن استدرجتهم إلى التغطية والتمويه، رفعت الغطاء فجأة دفعا إلى واقع بشع، فيلوح المقابل بشكل أو بآخر، وفي المناقشة يعلن أ.عماد الذى وقع في بداية الحلقة حيرة بلا حدود، وغموض صعب أنه "حسيت إن أنا كده مش مظلوم" وليس هذا فحسب بل إن موقفه اتضح أكثر حين أضاف "برضه أنا مش مذلول قوى" أما د. تامر فقد أعلن أنه مازال يحس بالصعوبة حتى بعد فرض شروطه فقد عقب متسائلا متعجبا: "هو أنا ممكن أقبل تحدى الذل لما ينفرض على؟ ممكن أنى أنا اقبله؟! دا صعب جدا، أرضى بالواقع دا كان صعب على" عشان كده أنا قلت أفرض شروطى.

يبدو هذا الموقف لأول وهله "نفعيا" بشكل أو بآخر، ولكن من خلال نظرة أعمق، يبدو أنه خطوة قوية في اكتساب قوة ما قد تفيد في دفع ذل محتمل لاحق، إنها معاناة استيعاب الواقع لتغييره، بدلا من ادعاء العكس، ونفى استسلام يسرى فينا من ورائنا تحت زعم حلّ صراعى ظاهر، هذا الموقف النفعى يمكن أن يكون شديد السلبية حين يصبح هو نهاية المطاف، كما يمكن أن يكون علامة نضج حين يمهد لقوة تمنع تكرار الذل والمشاركة في تماديه.

اللعبة الثامنة: دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن....

أ. عماد: دكتور باهر، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن ماكنتش ذليت نفسى

د. باهر: يا محمد، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن حاكره نفسى أوى

أ.محمد: يادكتور تامر، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن ماسامشى نفسى

د. تامر: يادكتور يحيى، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن أغير رأى

د. يحيى: عزيزى المشاهد ، دا أنا لو ظبت نفسى باذل غيرى ولو من غير قصد يمكن ماحترمش نفسى طول العمر

المناقشة

انقلبت الآية، وبدلا من التركيز على كشف المشاركة في إذلال النفس، حاولنا أن نبين جانبا آخر من المسألة من حيث احتمال إذلال الغير، ربما يكشف لنا ذلك عن بعد آخر للطبيعة البشرية من حيث أن عملية الذل، ظاهرة أو خفية، إحدائه أو تلقية، هي كلها من الطبيعة البشرية، وأن من يشكو، أو يعانى من الذل قد يكون هو نفسه مستعداً لإذلال الغير مع احتمال أن يسمى ذلك باسم آخر، وقد حاولت اللعبة تعرية هذا الاحتمال من حيث أن الواحد منا لو اكتشف حقيقة ما يمكن أن يفعله بالآخر، فرما يساعده هذا أن يتقى مثل ذلك لنفسه. إضافة الجملة الاعتراضية "ولو من غير قصد" هنا ربما كانت بهدف تحميل المسؤولية للمذلل، حتى لو احتج أنه فعل ذلك بعيدا عن دائرة وعيه الظاهر.

أ. عماد وضح الربط بين الوعي باحتمال أن يكون هو المذلل وبين إذلال نفسه، "... يمكن ماكنتش ذليت نفسى" وكأن النفس هنا كانت بمثابة آخر داخلى،

خطر لى فرسٌ جديد الآن:

ربما كان من يذل نفسه، أو يقبل الذل علي نفسه، ولو لا شعوريا هو يذل شخصا آخر داخله، فتصورت أن هذه الرؤية هكذا قد تفيد في تحريك الوعي نحو التوجه إلى موقع أرقى من الوجود البشرى حين نعتبر بهذا أننا إذ نقبل أن نذل أنفسنا، كأننا نحن أيضا نذل آخر داخلنا، إن حدة الوعي بهذا الاحتمال - لو صح- يملنا مسؤولية أكبر

إذا كنا رفضنا أن نذل الآخر حتى كرهنا أنفسنا بهذه الدرجة، ورفضنا ذلك حتى لو حدث من وراء وعينا، فكيف نقبل أن نذل أنفسنا والمفروض أن مثلها مثل هذا "الآخر"، لها نفس الحقوق علينا.

ربما هذا ما يقابل الحب الناضج حين يكون شرطه أن يبدأ باحترام النفس وحبها أولا (ليس أنانية) بمعنى أن الذى يجب نفسه (دون أنانية) هو القادر أن يجب الآخر، هذا نضج خاص وبالقياس إن من يأبى الذل على نفسه هو هو الذى لا يستطيع أن يسمح لنفسه أن يذل آخر.

اتفق كل من د. باهر وعمد ود. يحيى على نوع من محاسبة النفس ضد الكراهية "حاكره نفسى قوى" وعدم العفو "ما ساعشى نفسى" وعدم الاحترام "ما احتزمشى نفسى" (طول العمر)، ويبدو أن هذه الدرجة من الرفض هى الأهم فى تعديل السلوك، أهم من المبالغة فى الندم والاعتذار. د. تامر انتقل خطوه أخرى لأنه جعل وعيه بهذا الاحتمال دافعا للتعبير عن أنه "يمكن أغير رأي"، وإن كان مجرد تغيير الرأى لم يصل إلينا أنه تغيير فى أى اتجاه.

ملحوظة: شرح د. يحيى الموقف تفصيلا نظريا بشكل غير مألوف فى هذه الحلقات (اللعبة الذل) من برنامج سر اللعبة بقناة النيل الثقافية بتاريخ 16-4-2004)

وانتهى شرحه بما يشبه الاعتذار لفرط الجرعة، وربما هذا هو ما جعله يطلب من المشاهدين فى آخر الحلقة (اللعبة العاشرة)، سأخرا أو متحديا أن ينسوا ما جرى فيهم، وما انكشف لهم، من خلال اللعبة.

انتهى د. يحيى بعد تعقيبهِ الطويل بقوله:

أنا رأيتُ إنها من أصعب الألعاب التى أنا لعبتها فى البرنامج دا من يوم ما ابتدا:

- هوّا احنا عايزين نوصّل للناس إيه؟
- إنهم يقبلوا الظلم؟
- إنهم يرفضوا الذل؟
- إنهم يبقوا هبّل ومش عايشين فى الواقع؟
- إنهم يبطلوا يذلوا غيرهم؟
- عايزين نوصل للناس إيه؟

تحريك الوعى بهذا الأسلوب لا يفرض على أحد توجه معين، بقدر ما يأمل أن يوسع الرؤية، ويعزى الموجود، أملا فى امتداد دائرة الإحاطة، ومن ثمّ المسئولية، واضطراد النمو لفرد فالمجموع.

اللعبة التاسعة: انا مستعد أذل نفسى بخطرى فى حاله واحده بس هي إن.....

د.تامر: يا دكتور يحيى انا مستعد أذل نفسى بخطرى فى حاله واحده بس هي إن أكون واحد و معايا كل الناس

د. يحيى: يا عماد انا مستعد أذل نفسي بخطر في حاله واحده بس هي إن يكون في ده إنقاذ حياة طفل برئ

ا. عماد فتحي: يا دكتور باهر انا مستعد أذل نفسي بخطر في حاله واحده بس هي إن ماكنش كسيان دايم لوحدى

د. باهر: يا محمد انا مستعد أذل نفسي بخطر في حاله واحده بس هي إن لوده حاجتق حاجه غاليه عليا قوى وما قد امش حل تانى

أ. محمد أسماعيل: اعزائى المشاهدين انا مستعد أذل نفسي بخطر في حاله واحده بس هي ان ده يحل مشاكل الكل

المناقشة

إضافة كلمة - **يُخْطَرى** - هنا في نص اللعبة نقلت الإرادة المستترة إلى ظاهر الشعور، بدلا من أن يتم اللعب الخفى من ورائنا. هذا التحديد بإعلان القصد الإرادى هو الذى أنار منطقة ما كان يجرى من ورائنا ونحن نرفع لافتات العكس (أنا مستحيل أذل نفسي) المفروض أن هذه الإنارة تضيق دائرة احتمال أن أشارك في إذلال نفسي بإرادتى، بألفاظ أخرى: إن حل مواجهة هذا الاحتمال أنى مساهم في إذلال نفسي لا يكون بإنكاره، وإنما يكون بإظهاره وسحبه إلى دائرة الوعى، وبالتالي تضيق الدائرة إلى أن تصل - **ما دامت المسألة "يُخْطَرى"** - إلى **"حالة واحده بس"**، كما تقول للعبة.

نلاحظ أيضا من الاستجابات أنه: فيما عدا د. تامر اتضح أن السماح بهذه الجرعة الإرادية من إذلال النفس بهذه الدرجة من الوعى لا يسمح بها من يفعلها إلا بمقابل كبير تماما بدا عند د. باهر مقابل شخصى غالبا **"حاجة غالية عليا قوى، وما قد امش حل تانى"**، أما عند محمد فقد كان الثمن **مثاليا حتى بدا مستحيلا** كما أنه لم يكن قاصرا على شخصه **"يحل مشاكل الكل"** كذلك في حالة أ. عماد فقد اشترط إدخال الآخرين في الصفقة **"ماكنشى كسيان لوحدى"**، أما د. يحيى فوضع ظرفاً محددا هو: **لإنقاذ حياة طفل برئ**.

إجابة د. تامر هي التي احتاجت إيضاحا ليشرح قوله: **"أكون واحد ومعيا كل الناس"** وحين استفسر منه د. يحيى عن هذا الغموض قال قصدي **"معيا كل الناس وكلنا زى بعض"** فاتضح أنه يعنى نوعا من التعميم مثل الذى قال به محمد **"حل مشاكل الكل"** وإلى درجة أقل أوضح عماد **"ماكنش كسيان وحدى"**.

نستطيع أن نخلص من هذه النقلة ونحن نقرب من نهاية المغامرة إلى أنه يبدو أن الوعى بحقيقة ما بداخلنا، وتحمل مسئوليته هو السبيل الأمثل لتغييره واكتساب القوة من الآلام المترتبة على كشف ما كنا لا نعلم عنه شيئا، والآن يمكن أن نرفضه.

اللعبة العاشرة: كله الا الذل... يا ساتر! علشان كده ..

أ. عماد فتحي: يا دكتور تامر كله الا الذل يا ساتر! علشان كده مش حاذل نفسي تاني ابدأ

د. تامر: يا استاذ محمد كله الا الذل يا ساتر! علشان كده انا حافضل رافض

أ. محمد أساعيل: يا دكتور باهر كله الا الذل يا ساتر! علشان كده كفايه قوى

د. باهر: يا دكتور يحيى كله الا الذل يا ساتر! علشان كده لازم نكون اتعلمنا حاجه انهارده وده يغير بكره وبعده

د. يحيى: عزيزى المشاهد كله الا الذل يا ساتر! علشان كده نفسى ان احنا ننسى اللى حصل فى الخلقه دى، وربنا يسز ونخليها متغطيه كده احسن

المناقشة

جاءت هذه اللعبة الأخيرة وكأنها محاولة لتهدئة ما أثير من تعرية بدت جرعتها زائدة على ما يبدو، وإن كانت قد حركت ما يمكن أن يكون الهدف الأصلي من التعرية مهما بلغ الأمل.

كما يبدو أن هذه اللعبة الأخيرة قد سمحت بالتراجع عن حدة البصيرة، والمواجهة، وعن الاعتراف بأن الإسهام فى ذل النفس هو جزء لا يتجزأ من حركية الواقع الصعب مهما أعلننا غير ذلك، إن تخفيف جرعة الأمل الناتج عن التعرية المفاجئة، يكون أحيانا توكيا لاستعمال نوع أخطر من الميكانزمات لتغطيتها من جديد بشكل أبحث، ومن ذلك إنكار ما خرج منا واعتباره مجرد "هزل" أو مصادفة، فجاءت اللعبة الأخيرة لتسمح للوعى الظاهر أن يسترد حجمه إلا قليلا ما أمكن ذلك، وقد بدت توصية د. يحيى وكأنه يعنى "أرنا شطارتك، حاول أن تنسى لو قدرت"!!!.

أعلن باهر احتمال أن تكون الألعاب السابقة فرصة لتعلم جديد ما، علشان كده "لازم نكون اتعلمنا حاجة النهاردة"، وامتد أمله فى التغيير الذى بدأ ضروريا بعد مناقشة استجاباته ومناقشتها واستجابات المجموعة حيث أنه أضاف: "و ده يغير بكره وبعده"،

وفى نفس الاتجاه يمكن فهم استجابة محمد أن ما وصله كان كافيا: "علشان كفاية قوى" أما عماد فقد اتخذ موقفا وإن بدا مثاليا "أنا مش حاذل نفسي تاني أبدا" وكأنه رجع إلى ما أغرتنا به أول لعبة "أنا مستحيل أذل نفسي" إلا أنه وصل إلى أن ما قاله فى النهاية هو غير ما قاله فى حماس البداية، فقد بدا لى أنه اقترب من احتمال واقعى أكثر، ففرق بين الإسهام فى الرفض وبين افتراض استحاله تلقائيا فى البداية، أما د. تامر فقد تمسك بموقفه الراض مهما ترتب عليه، فبدأ مستعدا أن يدفع الثمن أما وخوفا، أو ربما من خلال دفاعات أخف من أن يسمى الذل باسم تدليل يخفيه.

يبدو فعلا أن د. يحيى قد تعمد في النهاية أن يعلن اعترافه بأن درجة التعرية ربما كانت أكبر من الاحتمال، وأن حق كل واحد أن يتزاج بالدرجة التي تناسبه، (إن استطاع!!) ثم ربما يعاود التعرية بالقدر الذى يقدر عليه، إن لم يستطع أن ينسى كل ما حدث،

وهو لن يستطيع غالبا .

خاتمة

تصورت بعد التورط في تقديم هذه اليوميات الثلاث عن الذل، أنه ربما كان من الأفضل أن أوجل ذلك إلى ما بعد أن يتعود الزائر/ القارئ على فكرة "اللعب" هذه حتى لا يُصدم بجرعة تثير الدفاعات أكثر من إنارة الوعي، لكنني التمتست العذر لنفسى بأننى لا أختار الموضوع اختيارا هادفا مسلسلاً، ثم إننى وأنا أكتب يوميا، لا أضمن أن المتلقى هو هو - وبالتالي فكيف أتدرج معه واحدة واحدة حتى نصل إلى عمق وآلام مثل هذا التعرى، وهو متلق متغير غالبا؟

قد يصلح ذلك إذا أنا كنت قد جمعت الألعاب في كتاب واحد له أول وله آخر، وبالتالي أؤخر مثل هذه اللعبة حتى يعتاد القارئ متدرجا آلية التعرى، لكن النشر يوميا هكذا، في موقع إلكترونى هكذا، لا يضمن لى أننى أخاطب نفس الزائر طول الوقت.

ثم إننى - أخيرا - لست وصيا على زوارى وقرائى حتى أفترض لهم وفيهم المستوى الذى يمكن أن يتحملوه، والمستوى الذى هو فوق طاقتهم .

لهذا، لن أعتذر كما اعتذرت للمشاهدين أثناء تقديم البرامج.

"ولكلّ حسب نضجه، ومن كلّ حسب مسؤوليته".

وإلى لعبة أخرى،

ربنا يستر.

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

http://www.rakhawy.org/a_site